التركيب اللغوي في قصيدة " ليلى المقدسية مهري بندقية "
للشاعر مصطفى محمد الغماري – دراسة في الوظيفة التداولية –

أ.د/ بلقاســم دفــة
كلية الآداب والعلوم الإنسانية والإجتماعية
قسم الأدب العربي، جامعة – بسكرة –

الملخص:

من أهم ما تميز به الدرس التداولي تحديده لما يعرف بالوظائف التداولية للغة ، إذ تجاوز وظيفة التواصل ،إلى تعدد الوظائف.وحينما يعالج هذا البحث دراسة التركيب اللغوي من حيث الوظيفة التداولية في قصيدة الغماري التي نحن بصدد دراستها، فإنه يندرج ضمن الاتجاه الذي يبحث في الخصائص الشكلية لعناصر التركيب المتعددة (من أفعال، وتكراروحذف...) وبيان وظائفها ، ودراسة ما يجعل من نصوص القصيدة حطابا شعريا متداولا.

Resume:

What characterizes most the pragmatic lesson is its limitation to what is known as (pragmatic function of language).

It surpasses the communicative function to various functions.

Since this research studies the syntax of language from pragmatic function side in the poem of (EL Ghemari). That is mentioned above, this research goes to the direction in which it studies the formal properties of various syntactic elements like (repetition, omission….etc),showing its functions and discussing what makes poetic text pragmatic oratory poems

مقدمة:

عرف مطلع القرن العشرين تحولا مهما في تاريخ الفكر اللساني الحديث ، وخاصة أعمال فرديناند دوسوسير " F.de saussure " التي ظهرت في محاضرته الشهيرة: محاضرات في اللسانيات العامة " cours de linguistique générale " ، حيث عدت تأسيسا لمرحلة جديدة مخالفة لتصورات وآراء الدارسين السابقين ، و إن كان قد أفاد من النحو التقليدي من قبل؛ لدى الهنود و اليونان و العرب ، و دراسة الباحثين في القرون الوسطى ، و عصر النهضة حتى نهاية القرن الثامن عشر الميلادي ، تضاف إلى ذلك البحوث اللسانية التاريخية و المقارنة التي ظهرت في القرن التاسع عشر ، و بخاصة ما قدمه فرانز بوب " F.poup " ، و النحاة من بعده.

غير أن محاضرات دوسوسير عدت اللسانيات درسا جديدا، له أسسه و مقوماته التي تميزه عن بحوث سابقيه. ومما ينبغي الإشارة إليه أن تمييزه بين الجانب الاجتماعي في اللغة " اللسان " " la langue" ، و الجانب الفردي " الكلام " " parole " يعد منطلقا جديدا لتتبع مسار ظهور التداولية " pragmatique " فيما بعد البنيوية " structuralisme "، لأنه بتمييزه الجانب الاجتماعي عن الجانب الفردي، وحدود كل منهما، يكون قد حصر المفاهيم المشتركة بين أفراد المجموعة اللغوية الواحدة، وهي القوانين العامة التي يؤد فيها التواصل، فيكون الخطاب " disceur " مفهوما لدى المتلقي، إن احترام المتكلم نظام اللغة، وغامضا إن خالفها فيما لا يجوز، ذلك أن اللغة تحكمها قوانين الظواهر الاجتماعية، فإنتاج اللغة في منظور اللسانيات الحديثة ينطلق من الأسس الاجتماعية، ثم يجنح إلى الفردية، وحصرت مهمتها في " الكشف عن القوانين الداخلية لهذا النظام، سواء أكانت قوانين ثابتة أو قوانين متطورة"[1].

و مع تطور الدراسات اللسانية تجاوزت اللسانيات الاهتمام باجتماعية اللغة إلى دراستها على مستوى الأفراد، حيث انتقلت من دراسة "اللسان"، إلى دراسة "الكلام" خلافا لما رسمه " دوسوسير"، وهذا جزء أساس من اهتمام اللسانيات التداولية.

اللسانيات الوظيفية و الأبعاد التداولية للغة:

تعود اللسانيات الوظيفية إلى مجموعة بحوث لسانية، لم تستقر في زمن معين، و لا عند دارس بعينه، إذ بمقدور الدارس أن يرصد بداياتها من أعمال حلقة براغ (cercle linguistique de praques) [(2)]، حين ميزوا بين علم الأصوات العام، و علم الأصوات الوظيفي الذي يقوم على مفهوم الفونيم " foméme " وقد وصفت أعمالهم بأنها تهتم بالوجهة الوظيفية للجملة، لاهتمامهم بدراستها ضمن مفهوم التواصل بعده وظيفة أساسية في النشاط اللغوي، وقدم بذلك رومان جاكبسون " R.jakobson " مخطط التواصل المعروف بوظائفه الست، و الذي وجهت إليه انتقادات في الستينيات من القرن العشرين ، من قبل بعض اللسانيين، أمثال: دانيس (danes). وفيرباس (firbas) و سكال(scall)، وغيرهم من الذين يرون أن التواصل يتميز بالحركية، و ليس بالثبات، كما يشير بذلك مخططه.

كما تستند الدراسات الوظيفية – كذلك– إلى ما قدمته المدرسة النسقية بلندن ، وهي متأثرة بأعمال حلقة براغ، حيث ترى أن اللغة ظاهرة بشرية متكاملة، و إن تناولها في مستوياتها الجزئية من صوتية، وصرفية، ونحوية، ودلالية، يفقدها طابعها التواصلي الذي يميزها، إضافة إلى أن هذه الدراسة لا تقدم –غالبا– في صورتها المتكاملة،لذلك دعدت إلى إغفال أبعادها الاجتماعية، و الثقافية، و النفسية، و التاريخية. و طورت في هذا الميدان مفهوم سياق المقام "contescte de situation " الذي يدرس اللغة في سياقها المادي و المعنوي، لأنها ظاهرة اجتماعية و سيمائية " symiotique " وينبغي تحليلها انطلاقا من هذه الأسس اعتمادا على آراء دوسوسير، وهيلمسميلف، و مالينوفسكي، وفيرث و مارتيني.

ومن نتائج الدراسات الوظيفية في السبعينيات من القرن العشرين النحو الوظيفي، الذي يعد من صورها العامة، ويهتم بوظيفة " التواصل " (la communication)، وهي وظيفة اللغة الأساس.

وموضوع اللسانيات في نظر مارتيني هو وصف القدرة التواصلية لدى المتكلم و المخاطب، مما جعل بعضهم يعد نظرية التركيب " syntaxe " والدلالة " symontique " من وجهة تداولية " pragmatique ".

ومن أهم ما تميز به الدرس التداولي تحديده لما يعرف بالوظائف التداولية للغة " les fonction pragmatiques "، إذ تجاوز وظيفة التواصل، إلى تعـدد الوظـائف، وأهمها: أن اللغة ذات وظيفة تأثيرية في السلوك الإنساني، وتتبنى عليهـا تغيـرات فـي الآراء و المواقف.

والواقع أن مسألة تعدد وظيفة اللغة (la fonction de la lanque) نشأت قبـل نضـج الدرس التداولي مع "جاكبسون"، وتطورت مع باحثين آخرين، مثل:" هاليداي"، و " بوهلر" وغيرهما.

وغاية الوظائف التداولية تحديد وضعية مؤلفات الجملة بالنظر إلى البنية الإخباريـة فـي علاقة الجملة بالبنى المقامية المحتمل أن تنجز فيها.[3] فهي – كـذلك وظـائف مرتبطـة بالمقام و السياق، و بمدى إنجازها في واقع التواصل و الإبلاغ.

وقد جعلها أحمد المتوكل مستندا إلى " سيمون " ديك (semon dik) نوعين: داخلية و خارجية.[4] " وتتسم الوظائف التداولية الداخلية بكونها تستند إلى عناصر تنتمي إلى الجملة ذاتها "[5] ، وتضم وظيفي المحور و البؤرة، أما الوظائف التداولية الخارجية فغير مرتبطة بعناصر الجملة، إذ تستند إلى مكونات خارجية عن الجمل، وتضم وظائف المبتدأ و الذيل.

ويصل مجموع الوظائف التداولية بحسب " سيمون دايك" إلى أربع، و يضيف المتوكـل و ظيفة خامسة، هي وظيفة المنادى، إذ يقول: " ونقترح شخصيا أن تضاف إلى الـوظيفتين التداوليتين الخارجتين وظيفة المنادى".[6] فالمنادى شأنه شأن الإخبار أو الطلـب، وهـو وظيفة تستند إلى أحد مكونات الجملة، فالوظيفة التداولية مرتبطة بالمقام، على نحو ارتباط وظيفة المبتدأ أو الذيل، أو غير ذلك من الوظائف.

ويقوم مفهوم التداولية على مبدأ أن لسانيات القرن العشرين ساوت بين لسانيات اللغة و لسانيات الكلام خلافا لموضوعها المحدد في اللغة وحدها في محاضرات دوسوسير واهتمت بالخطاب لكونه إنتاجا لغويا منظور إليه في علاقاته بظروفه المقامية والسياقية، وبالوظيفة التواصلية التي تؤديها في هذه الظروف وهي تعتمد أسلوبا ما في فهم الخطاب وإدراكه بكيفية الاستخدام اللغوي وبياني الأشكال اللسانية التي لا يتحدد معناها إلا بالاستخدام وسياق الحال (contexte de situation) الذي يؤدي فيه خطاباتهم، فاهتمامها ينصب أساسا على المتكلم انطلاقا من سياق الملفوظات التي يؤديها إلى جانب تحليل الأفعال الكلامية ووظائف المنطوقات اللغوية وسماتها في عملية الاتصال، ولذلك سماها بعض اللغويين: لسانيات الاستعمال اللغوي، وموضوعها توظيف المعنى اللغوي في الاستعمال الفعلي، لأنها تبحث في معرفة مقاصد المتكلم وأغراض كلامه، فالمعنى لا يستقى من المبنى وحده، بل من الجانب السياقي كذلك، نحو قوله أحدهم لما يدخل عليه في مكتبه، ويترك الباب مفتوحا: ألا ترى أن الجو بارد؟ ومراده: أغلق الباب، وعلى المتلقي أن يدرك ذلك المعنى لنجاح عملية التواصل. ولاختصاص التداولية بمقاصد المتكلم، جعلها بعضهم تدرس وضعية التواصل وسياقاته المختلفة.

مظاهر التداولية اللغوية في قصيدة " ليلى المقدسية مهري بندقية " للغماري ":

حينما يتناول هذا البحث دراسة خصائص التركيب اللغوي من حيث الوظيفة التداولية في القصيدة المذكورة آنفا، فإنه يندرج ضمن الاتجاه الذي يبحث في الخصائص الشكلية لعناصر التركيب المتعددة من (أفعال، وبنى حجاجية، وتكرار، وحذف...) وبيان وظائفها – كما حددها الدرس اللساني التداولي – ودراسة ما يجعل من نصوص القصيدة خطابا شعريا متداولا.

والقصيدة من ديوان "قصائد منتفضة" للشاعر الجزائري مصطفى محمد الغماري ، و هو أستاذ جامعي.

و يحمل النص الشعري في الحقيقة قيما تداولية، غايتها التأثير في المخاطب وتعديل مواقفه، معتمدا في ذلك على البلاغة التي غرضها الإبلاغ و التوصيل.

والنص الشعري بالمفهوم التداولي: هو مجموعة أفعال أدائية تضبطها جملة من العلاقات المتحكمة في عملية إبلاغه، وكذلك التداولية " تنظر و إلى اللغة بعدها ظاهرة خطابيته و تواصلية و اجتماعية ".[7] و يلتقيان في كثير من الميادين بهذين المفهومين، و أبرزها أن الميدان الحيوي لكل منهما هو التواصل، و لهذا يمكن الكلام عن التداولية في نص شعري، و أهم ما تتناوله دراسة شروط وصول النص الشعري إلى المتلقي، و التأثير فيه، ودراسة الصور و البنى التي تتكفل بذلك.

أما عن القصيد، فإنه يضم العديد من الإشارات الداعية إلى هذا النوع من الدراسة، أبرزها، أن الديوان بعامة، و القصيدة بخاصة تصور معاناة الشعب الفلسطيني، وصور العقل المؤمن، و القلب المطمئن، و صور الإيثار و الاستشهاد، و شموخ الانتفاضة، و كبريائها، فكانت "ليلى المقدسية"، و غيرها من حرائر فلسطين.[8]

و الهدف من هذا المبحث التعرف على أهم خصائص التراكيب النحوية في القصيد، ليس من ناحية البنية النحوية فحسب، بل من حيث ارتباطها بمبدأ التداول بعامة، أي: أنه يبحث في الخصائص التي تجعل من تراكيب القصيد موجهة لغرض ما أو مقصد بذاته، لذلك فهو لا يعتمد الوصف الشكلي للتراكيب النحوية، و حصر عناصرها، فيما يسميه أحمد المتوكل بـ " البنية المكونة للجملة"، وتشمل المستوى الصرفي و التركيبي، و يهتم في المقابل بالجانب التداولي للتركيب، و الذي يشكل إلى جانب المستوى الدلالي " البنية التحتية للجملة " ، فيما يصطلح عليه المتوكل.[9]

ومن أهم هذه المظاهر: الاهتمام بالمستوى التداولي في عدد من تراكيب القصيدة، و بناء التراكيب بحسب العمليات الفكرية الحاصلة في مخيل الشاعر، إلى جانب اشتمال التراكيب النحوية على عناصر لغوية تحدد وجهة الجملة ودلالتها، وهو ما يعرف

عند التداوليين بالقوة الإنجازية للجمل، و يعرض هذا المبحث أهم نماذج هذه المظاهر في القصيد:

أولاً: الاهتمام بالمستوى التداولي في التراكيب:

إن الاهتمام بالمستوى التداولي ظاهرة تتسم بها كل الخطابات – غالبا – إذا إن المتكلم ينجز خطابه وفق أحوال مقامية، و اعتدادا بمخاطب حاضر حقيقة أو افتراضا، ولا يختلف النص الشعري عن نص آخر في هذا المبدأ العام، غير أن حضور المخاطب فيه يكون افتراضيا عموما.

ويتعدد الحضور في هذه القصيدة، ويهتم الشاعر بأحوال مخاطبيه بحسب مقتضيات القول، فيبدو ذلك على مستوى البنية التركيبية، وذلك كالآتي:

أ- **تكرار التركيب الإنشائية لإثارة المخاطب و امتثاله بما وكل إليه**، نحو قوله:[10]

يا مهَرها أمطرْ قنا و قنابلاً أمطرْ دماً أمطر دمارا..أمطر !

أمطرْ شواظا من نحاس منتهى حُلمُ الشهيد إليه أمطر تُنصر !

وقوله:[11]

يا حاملَ الألم اليهيج أما ترى في الدرب من عرض يحولُ وجوهر؟

أو ما ترى الآلام هزأة آثم متأثمٍ أوذي هوًى مستسخر؟

وقوله:[12]

يا ناقةَ الله اشربي وتضلعي فقدار يحرق فيك حدَّ الخنجر !

وقوله: [13]

يا شعبُ يا ظهرًا تخاشع بعدما ناءتْ به الأوزارُ من مستوزر !

و قوله: [14]

يا جيشَ أحمد يا ظلالَ سيوفه جدُّ الزمان فخذْ مكانك واحذر

وتأخذ القصيدة هذا النمط التركيبي إلى نهايتها، إذ يعتمد الشاعر إلى تعدد النداءات :" يا مهرها، يا حامل الألم، يا ناقة الله، يا عاقرا،..." وتكرارها، وتعدد الأساليب الإنشائية الأخرى " أمر، ونهي، و استفهام، وتمن، وترج، وتعجب.."، وتكرارها، ليحدث إثارة في نفس مخاطبه، ويضمن استجابته، ولذلك فإن هذه التراكيب الإنشائية تضم إلى جانب الدلالات الواضحة في الأبيات مستوى تداوليا تمثله هذه التراكيب بتكرارها، مما يجعل استجابة المخاطب وقبوله الطلب المفروض عليه، وهو مخاطب افتراضي، يصدق على كل عربي مسلم، فلسطيني، أو من بلد آخر.

ب- تقديم مضمون النداء، و تأخير المنادي و الأداة، للاهتمام بالمضمون، نحو قوله: [15]

أفديكِ يا ابنةَ كلِّ أروع أسمر بدمي بمعتصرِ الشعورِ الأخضر

فقد أخرت أداة النداء مع المنادى في قوله:" يا ابنة "، وقدم مضمون النداء " أفديك "، وهو جملة خبرية، وفي التقديم اهتمام وعناية بالمقدم، لأنه هو المعلق بالنفس أولاً.

ت- الزيادة في التركيب بالوصف، وذلك لأغراض، منها:

- الشكوى و الاستعطاف، كقوله: [16]

أفديك يا ابنةَ كل أروع أسمر بدمي بمعتصرِ الشعورِ الأخضر

وأجوسُ جرحَك قارئًا مستلهمًا قمرا بغير الحبِّ لم يتطهَّر

لغةُ الجراح تبينُ عن لغة الهوى بمسلسلٍ سمحٍ و عذبٍ عبقري

لم تأت هذه الزيادات لغرض السامع فحسب، و إنما غرضها بث الشكوى و الاستعطاف، فالشاعر يشكو ما حل بالشعب الفلسطيني من مآس ونكبات على أيدي سفاكي

الدماء؛ اليهود الغاصبين، و لا يمكن أن يتجسد الغرض دون تكرار وزيادة في وصف الحال.

- **إحداث الدهشة لدى المخاطب**، نحو قوله: [17]

باعَ العروبةَ فيه ضربةُ لازب فالحرفُ غينٌ و التوجهُ بربري !

ما أقبحَ الأيامَ... في نزواتها ما شئت من عبر ومن مستعبر !

تدني إليك مسافة مقلوبة وتريك وجهك في قفا المستعمر !

وكقوله: [18]

لا يبلغُ الأعداءُ منك إذا سمتَ بك في الحظوب عزيمة لم تُكْسَر !

إني أقاتلُ في الضمير مُقاتلي يأْساً... ولم أهزمْ ولم أستأسر !

أُفضي إلى أعماقه مُسترسلاً فأروعه بيد الرجاء المقمرِ !

يرسل الشاعر في وصف صورة الإسرائيلي المحتل، وصورة الفلسطيني المقاوم، ويزيد في وصفها بتراكيب متقاربة، مماثلة، ليحدث الدهشة لدى المخاطب، و ليستجيب للطلب، ذلك نحو قوله: [19]

واحملْ جراحَ القدس من غدرائها مددا و غالب تُنتصر أو تعذر !

قاتلْ بها تقتل فما قَتَلَ العدى إلا جدائلها...وكاثر تكثـــر !

وتعد زيادة العناصر النحوية في التركيب تهئئة لنفس المخاطب، واستدراجا لـه، لتلقي الطلب الحاصل في نهاية القصيدة، حيث يقول. [20]

نازلْ و قاتلْ دون حقك في الورى المجد يزهر في الجبين الأزهـــــــــر

أجدرْ بنار الحق أن يصلي بها عجلُ اليهود و إن يخر و ينخــــــر

في باحةِ الأقصى ابتردْ بلهيبها أولا فلذْ بصدى الأماني واصغر !

- **تقديم الضمير" أنا" – المسند إليه – قصد التفات المخاطب وانتباهه،** وذلك نحو: (21)

أنا! ألمّ، أنا نادم، أنا خادم إن أتوب عن العروبة فاغفري !

أنا ما حييتُ أكرُّ غير مذمم بمقاتل مستأصل ومذ مـــــرَّ !

أنا ما سلوتُك إن سلا محبوبهُ مذق المودة إن يعانق يهجــر !

فقد تكرر ضمير المتكلم " أنا " في أبيات متوالية (7) مرات.

- **أن يقترن تركيب بأخر تماثلا، وذلك لإثارة المخاطب،** نحو قوله واصــفا عمــق جرح فلسطين في قلب الأمة العربية و الإسلامية، إذ يقول : (22)

ما أروعَ الغضبَ الخصيبَ إذا غدت نظم تساس بحالم و مغرر !

ما أروعَ الغضبَ الخصيبَ إذا عنا وطن يكاد بمعذر و معذر !

ما أروعَ الغضبَ الخصيبَ بأمة لم تسق إلا من نجيع أكدر !

حيث تكررت التراكيب نفسها في أربع أبيات متوالية " ما أروع..." وقد جعــل الشــاعر فلسطين غادة مستباحة، و أفاض في وصفها طلبا لالتفات المخاطب، ثم يــردف ذلــك بتركيب، يعرض ما حل، ليخلص إلى الطلب، نحو: (23)

من كل صوب في فلسطين العلا سمح تفجر يا فلسطين، افخري

أعراسُك الحمرُ الحسانُ يتيمة في الدهر فاكتب يا زمان وحرر

وبلجوء الشاعر إلى هذه الصورة يكون قد استخدم وسيلة لإثارة المتلقي، وهي الغيرة على الشرف، وفي ذلك ضمان لأن يتلقى الخطاب، ويجيبه إلى طلبه، ويظهر جليا حرص الشاعر على إثارة مخاطبه في هذه الأبيات، وفي مثل قوله: (24)

يا جيشَ أحمدَ يا ظلالَ سيوفه جد الزمان فخذ مكانك واحذر

" لتقاتلن يهودَ " فاحملْ و احتملْ واشردْ بعجلك أيهذا الخيبري !

ففي ندائه " جيش أحمد " أي جيش محمد صلى الله عليه و سلم أضاف منادى ثان " يا ظلال سوفه " قصد إبراز المنادى الأساس " جيش أحمد "، وما دمت أيها الجيش على نهج محمد – عليه الصلاة السلام – عليك أن تقوم بواجبك ، فتقاتل اليهود، ونحرر فلسطين، وليس أدق من هذا الأسلوب في إثارة المخاطب، وضمان استجابته.

ثانيا: القوى الإنجازية في التراكيب النحوية:

يعد مفهوم القوة الإنجازية " أحد اهتمامات الدراسات التداولية للجمل، ويشمل كل ما يواكب جملة ما أو نصا كاملا من مقاصد أثناء التواصل، نحو: الإخبار، الاستفهام، الأمر(25)، وغير ذلك من الأساليب العربية، ومن أنواع القوى الإنجازية في تراكيب القصيدة ما يأتي:

1- النداء: يعد النداء من الأدوات الإنجازية التي تسهم في تحقيق مقاصد التركيب،نحو قوله: (26)

يا بنتَ فاطمة البَتُول إذا اعتزى فرعُ إلى أصل وعز بمفخر !

يا أختَ زينبَ في الخطوب عصية كالدمع لم يجمد و لم يتحدَّر

وكقوله: (27)

يا بنتَ ساكبة الضياء مشاربا لم نغن إلا من يديك ونطهـــر

يا نارَ هاكوني البوارَ على العدى وتفجري بالماردات .. وفجري

فقد خاطب " ليلى المقدسية " بـ " بنت فاطمة البتول "، وأخت زينت" و " بنت ساكبة الضياء..."، وهو نداء لكل فلسطينية منتفضة.

2- **التكــرار**: للتكرار – كذلك – قيمة تداولية، تتمثل في اهتمام المتكلم بالمخاطب، حين يعلم أن خبرا ما يثير في ذهن مخاطبه احتمالات عدة، فيكررا التركيب ذاته إزالة لهذه الاحتمالات، وتقوية وتأكيدا للفكرة المراد توصيلها للمخاطب، وهي ظاهرة اتسمت بها القصيدة، منها قوله:(28)

والليلُ مائدة الفناء لفاكه ثمر الرؤوس فيها شهي المنظر

والليلُ ظهرُ الفاتكين كأنهم والليلُ نجمٌ في هلال أصفــر

حيث تكررت كلمة "ليل" خمس مرات في أربع أبيات متوالية

وكقوله: (29)

ما أروعَ الغضبَ الخصيبَ إذا غدت نظم تُساس بحالم ومغرر !

ما أروعَ الغضبَ الخصيبَ إذا عنا وطنٌ يكاد بمعذر ومعذرِ !

فقد تكرر تركيب " ما أروع الغضب الخصيب" . أربع مرات في أربع أبيات متوالية.

3- **النعت**: يستخدم المتكلم النعت مفردا أو جملة لبيان المنعوت و توضيحه، وهنا يظهر اهتمامه بالخطاب، وحرصه على بلوغه إلى المخاطب، ومن شواهده في القصيدة قوله : (30)

نازلْ وقاتلْ دون حقك في الورى المجدُ يزهرُ في الجبين الأزهـــــر

و اشربْ من الذل المعتق دنهُ عللاً.. وقامرْ في الجياع وسمسر !

وتتضح القوة الإنجازية للنعت في اهتمام المخاطب به (الأزهر، المعتق) أكثر من اهتمامه بالمنعوت، لأنه أكثر وضوحا، و لأن فيه ما يسهل بلوغه إلى نفسه، ويجعله يقتنع به.

4- **الحال:** للحال قيمة تداولية بالغة، قد لا تتوافر للأدوات الإنجازية الأخرى، إذْ إنَّ مفهومها مرتبط بأداء الفعل، حيث إنها تصف هيئة صاحبها حين وقوع الفعل، ولذلك فهي أكثر ارتباطا بأداء اللغة، وأكثر إحالةً على واقع استخدامها، ومن ورودها في القصيد قوله:

وأجوسُ جرحَكِ قارئًا مستلهماً قمرًا بغير الحبِ لم يتطهرِ [31]

وقوله:

تجري وراءَ الأجر وهي عليمةٌ علم الأجير بخدعةِ المستأجرِ [32]

وقوله:

وتخايلي فرحاً يذوبُ مع اللقا لنْ تركعي لنْ تُسلمي لنْ تُحصَرِي [33]

فالحال في "قارئاً" و "مستلهما"، و "وهي عليمة"، و" فرحاً"، كلها زادت المعنى وضوحًا، حين يعلم المخاطبُ أنَّ فلسطين الجريحة تعاني ويلاتِ الاستعمار.

ثالثا: تعدد القوي الإنجازية:

قد تتعددُ القوى الإنجازية بأنوعها في التراكيب الواحد، أو في تراكيب متتالية، مما يضاعف في شروط تحقيق الخطاب ونجاحه، أو إفشاله، إن كانت الأدوات لإفشال الإنجاز، ومن شواهد ذلك في القصيد:

أ- **تعدد الدعاء في تراكيب متوالية، نحو:**

تمتد هل غيرُ الغُروب دليلها ويلُ الشروق من الغروبِ المنكَر!

هلْ غيرُ شُطار البلاد سراتُها ويلُ السرَيِّ من الدَّعي الأَدْعر![34]

يظهر الدعاء في كلمة "ويل" التي تكررت مرتين، و الإشارة فإن الدعاء شائع في العربية أن يدعو المتكلم لمخاطبه أو يدعو عليه أداء للقوة الإنجازية.

ب- تضافر الطلب من نداء وأمر واستفهام ونهي في تراكيب متوالية،نحو:

اقرأْ قصيدَ الدهرِ في أبياته هلْ غيرُ سيفٍ بالملاحمِ مُثْمِر

يا حاملَ الآلامِ في الأرض السُّدَى لا تبتئسْ وأدمْ وصالَك واصْبِر[35]

رابعا: لوحق إنجازية في تراكيب القصيد:

يشمل مفهوم اللواحق الإنجازية كل الوحدات اللغوية التي تكون مسؤولةً عن توجيه الخطاب وإنجازيته، وسيقتصر البحث على دراسة اللواحق التي تكون أكثر ارتباطا بالدلالة العامة للتراكيب، والتي لا يتحدد معناها إلا بالنظر إلى دلالتها، نحو الإشارات المكانية والإشارات الزمانية.

أ- **الإشارات المكانية:** وهي لواحق تشير إلى مكان ينبغي أن تشمله دلالة المتكلم، ويدركه المخاطب (المتلقي)، لتنجح العملية التواصلية، ومن صورها في القصيد أن يشير المتكلم إلى مكان صريح معلوم، وينبغي على المخاطب أن يكون عارفًا له تحديدًا، بكل ما يمكن أن يتعلق به، وإلاَّ أخفق في تلقي الخطاب، ومن شواهده في القصيد:

وتراهم و القدسُ ينزفُ قلبُها أخذوا بأطراف السكونِ المقبري [36]

في باحةِ الأقصى ابتردْ بلهيبها أولا فلذْ بصدى لأماني و اصغُر [37]

وقد ورد اسما مكان في كلمتي " القدس"و" الأقصى"، وهما صريحان يعلمهما المتلقي، إذ هما في فلسطين المحتلة.

ب- **الإشارات الزمانية:** أن يشير إلى زمن مهم من حيث الدلالة النحوية، ولكي يتعرف المخاطب على الحيز الزمني المراد في الخطاب، عليه أن يستغل كل ما يفضي به

في البنية، وما يشير إليه، ليتحقق له الفهم من ذلك أن يستخدم مثلا الألفاظ "اليوم، غدا، الشهر، اليل، الزمان، في نحو قوله:

أعراسُكِ الحمرُ الحسانُ يتيمةٌ في الدهر فاكتبْ يا زمانُ وحرِّرِ [38]

وقوله:

ما أقبحَ الأيامَ! و انتفض الأسى نارًا على غُدَرٍ وإنْ لم يُغْدِرِ[39]

الزمن مبهم في البيتين في كلمتي "الدهر"و" الأيام"، ومع ذلك فقد حققا نجاح الخطاب.

الخاتمة: وفي خاتمة هذا البحث، يمكن أن تخلص إلى النتائج الآتية:

– يرتبط مفهوم الشعر عند الغماري بوظيفة الحياة، كأن يحمل موقفا أو يعدل سلوكا، أ ويدعو إلى أمر أو ينهى عنه، بعيدا عن المفاهيم الأخرى التي تجعل الشعر فنا لذاته، بل إنه عند الغماري فعل وسلوك، ينبغي أن يكون له تأثيره على المتلقين، إنه في نظره رسالة يؤديها الشاعر بالإخلاص التام لانتماءاته الإسلامية و الوطنية و التاريخية، و الحث الدائم على الالتزام بمبادئها.

– إن الشعر أكثر ملاءمة للدراسة التداولية، وذلك أن هدفه التأثير في المخاطب وتعديل مواقفه استنادا إلى البلاغة التي غرضها الإبلاغ.

– شيوع أسلوب النداء، إذ تكرر في أربع وعشرين. جملة، ويعرض فيه الشاعر إلى وصف الأحوال الدالة على الاستعطاف و الشكوى...

– الاهتمام بالمستوى التداولي في التركيب، إذا يبدو اهتمام الشاعر بمخاطبيه في توالي التراكيب الإنشائية لإثارتهم واستمالتهم وقيامهم بما وكل إليهم، ومن ذلك تراكيب النداء، و الأمر، و التعجب و الاستفهام.

الهوامش:

(1) رومان ياكبسون، الاتجاهات الأساسية في علم اللغة، ترجمة علي حاكم صـــالح، وحسن ناظم، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، بيروت، ط1، 2002، ص13.

(2) Jean dubois et autres, dictimmaire de linguistique, lilrairelarous paris, 217 P 217

(3) أحمد المتوكل، الجملة المركبة في اللغة العربية، منشـــورات عكـــاظ، الربـــاط المغرب، 1988، ص 25

(4) ينظر: المرجع نفسه، ص 25.

(5) أحمد المتوكل، قضايا اللغة العربية في اللسانيات الوظيفية، بنية الخطـــاب مـــن الجملة إلى النص، دار الأمان للنشر، الرباط، المغرب، ط1،2001، ص 110.

(6) أحمد المتوكل، الوظائف التداولية في اللغة العربية، منشورات الجمعية المغربية للتأليف و الترجمة و النشر، الدار البيضاء، المغرب، ط 1، 1985، ص 17.

(7) فرانسواز ا أرمنكو، المقاربة التداولية، ترجمة سعيد علـــوش، مركـــز الإنمـــاء القومي، الرباط، المغرب، 1986، ص56.

(8) ينظر: مصطفى الغماري، قصائد منتقضة، أسرار من كتاب النـــار، الإهـــداء،، اتحاد الكتاب الجزائريين، الجزائر، مطبعة دار هومه، ط1، ديسمبر 2001، ص 10.

(9) ينظر: قضايا اللغة العربية في اللسانيات الوظيفية، بنية الخطاب من الجملة إلـــى النص، ص 45، وما بعدها، و الوظيفية بين الكليـــة و النمطيـــة، دار الأمـــان للنشـــر و التوزيع، الرباط، المغرب، ط1، 2003، ص 163، 164.

(10) ديوان قصائد منتفضة أسرار من كتاب النار، ص 24.

(11) الديوان، ص27.

(12) الديوان، ص 31.

(13) الديوان، 38.

(14) الديوان، ص 39.

(15) الديوان، ص 11.

(16) الديوان، ص 11.

(17) الديوان، ص 16.

(18) الديوان، ص 17.

(19) الديوان، ص 40.

(20) الديوان، ص 44.

(21) الديوان، ص 19.

(22) الديوان، ص 12.

(23) الديوان، ص 12.

(24) الديوان، ص 40.

(25) ينظر: أحمد المتوكل، الوظيفة بين الكلية و النمطية، ص 17.

(26) الديوان، ص 41.

(27) الديوان، ص 42.

(28) الديوان، ص 32.

(29) الديوان، ص 12.

(30) الديوان، ص 44.

(31) الديوان، ص 11.

(32) الديوان، ص 33.

(33) الديوان، ص 35.

(34) الديوان، ص 36.

(35) الديوان، ص 42،43.

(36) الديوان، ص 29.

(37) الديوان، ص 44.

(38) الديوان، ص 12.

(39) الديوان، ص18.